

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح عنوان الحكم لأبي الفتح البستي  
شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد  
[الشريط الأخير]

الطالب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين أما بعد :

فيقول أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي رحمه الله تعالى في منظومة (عنوان الحكم)  
وللأمور مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ ..... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانٌ  
فَلَا تَكُنْ عَجَلًا بِالْأَمْرِ تَطْلُبُهُ ..... فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجُّ بِخِرَانٍ  
كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَازٍ ..... فَفِيهِ لِلْحُرِّ إِنْ حَقَّقْتَ غُيَّانَ  
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ ..... وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَعَضْبَانُ  
حَسَبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَافُ يُعَاشِرُهُ ..... إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخُلَانٌ  
هُمَا رَضِيعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى ..... وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ  
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مُوْطِنٌ فَلَهُ ..... وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ

الشيخ: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله  
صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ،أما بعد:  
فهذه تنمة منظومة (عنوان الحكم) لأبي الفتح البستي رحمه الله تعالى، وقد عرفنا مكانة هذه الأبيات  
وحسن ما اشتملت عليه من حكم عظيمة ، ووصايا نافعة ، ضمنها رحمه الله تعالى أبيات هذه المنظومة ،  
وأنت أبيتها في الغالب كل بيت منها يحمل حكمة ، وتوجيها مسددا

قال رحمه الله

وللأمور مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ ..... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ

ينبه الناظم ، رحمه الله تعالى إلى مراعاة مواقيت الأشياء وأيضاً حدودها ، وموازينها ، بحيث يزن المرء كل أمر ، بميزانه المناسب ، وقته وحدّه وميزانه ، يراعي ذلك ، لأن الأمور إن لم توزن بموازينها ، ولم تعتبر فيها موازينها وقع الخلل ، فمثلاً من حيث الوقت ، يقول (وللأمر مواقيت مقدّرة) إن لم تراعى في الأمور مواقيتها وقع الخلل ، وكما قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فإذاً هذا بيت فيه توجيه من الناظم ، رحمه الله ، لوزن الأمور بموازينها من حيث الوقت ومن حيث الحد، من حيث المكان كل أمر يعتبر في الأمور لا بد أن يراعى إحكاماً أو إقداماً ، سواء كان المرء يريد الإقدام على أمر ، أو يريد إحكاماً عن أمر ، لا بد من مراعاة ما أشار إليه الناظم ألا وهو وزن الأمور بموازينها وحدودها وأوقاتها

ولهذا يقول بناء على ما سبق

فلا تَكُنْ عَجَلًا بِالْأَمْرِ تَطْلُبُهُ ..... فليس يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجِّ بِخُرَانُ

(فلا تكن عجلاً) العجل من الناس هو من لا يراعي مواقيت الأمور المقدرة فتراه يأتي الأمور بطيش وعجلة فيقع حينئذ الخلل والزلل

قد يدرك المتأني بعض حاجته \*\*\* وقد يكون مع المستعجل الزلل

فالأمور لا بد أن تؤخذ بالأناة وبالرفق وعدم العجلة ، خاصة في الأمور التي لا تتضح للإنسان ولا تستبين له حدودها وموازينها لا يجوز له أن يستعجل ، ومن يستعجل في الفتن باتخاذ القرارات يضل ويضل الآخريين ، ولهذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه (إنها ستكون أمور مشتهات فعليكم بالتؤدة) التؤدة هي الأناة وعدم العجلة (فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر)

ولما تحدث علي رضي الله عنه عن الفتن وخطورتها قال (فلا تكونوا عجلاً مذاييع بذرا) رواه البخاري في الأدب المفرد، عجل من العجلة، مذاييع إشاعة الكلام دون تثبت ودون روية ، بذرا ، أي من يبدرون الفتن ويبدرون بذور الشر، فحذر رضي الله عنه من العجلة

(فلا تكن عجلاً بالأمر تطلبه) أي إذا طلبت أمراً من الأمور ، تعرف على حده تعرف على وقته، تعرف على ميزانه تعرف على سبل تحصيله، ثم اسلك الطريق، سواء كانت الطريق طويلة أو قصيرة لا

تستعجل، تعرف أولاً على الوقت الحد الزمان الطريقة تعرف على ذلك ثم اسلك الطريق بخطى واضحة ولا تستعجل شيئاً قبل وقته

(فليس يحمد قبل النضج بحران) قالوا: بحران هذه كلمة مولدة ليست عربية وتستعمل في الطب ، قديماً وهي تعني تغير المريض السريع ، يعني قبل النضج يحصل تغير ، مثلاً مريض أخذ معه المرض ، شدة ومعاناة وألم ، وفجأة قال أنا أحس أنني مرتاح تماماً ، التغير السريع يقال عنه بحران ، هذا يتخوف منه الأطباء لأنه قبل النضج ، فلا يحمّدونه (فليس يحمد قبل النضج بحران) يعني هذا التغير السريع لا يُحمد بل يتخوفون منه ، لأنه جاء قبل النضج ، ذكر ذلك رحمه الله مثلاً للتحذير من استعجال الأمر قبل أوانه

أضرب مثلاً آخر لعله يوضح الأمر بشكل أوضح ، شخص يريد أن يبني بيتاً من أدوار، لكنه متعجل جداً في البناء، ويريد أن ينتهي بسرعة ، إذا كانت العادة مثلاً ينتهي هذا البيت في سنة، هو يقول أريد أن أنهيه في شهرين، بأي طريقة كانت ، المهم ينتهي، ثم يأتي على الأساسات بسرعة ولا يعتني بقواعد البناء ، وأصوله ، والأمور المعتبرة فيه ، المهم اهتمامه كله منصب على أن ينتهي بسرعة، ينتهي بسرعة أو لا ينتهي؟ ينتهي بسرعة لكن هل يحمد؟ مجرد ما يسكن أو يسكن غيره ، يفاجئون بالخلل تلو الخلل، (فليس يحمد قبل النضج بحران) يعني الأمور قبل أن تنضج قبل أن تستوي قبل أن تأخذ مأخذها ، الصحيح فإنها لا تحمد، هذا في كل باب

ولما كان المثال الذي أورده يتعلق حول الطب في قوله (فليس يحمد قبل النضج بحران) الطبيب نفسه عندما يستعجل التطب قبل أن يتقن العمل حرصاً على ممارسة العمل، في وقت سريع يحمد ذلك أو لا؟ (فليس يحمد قبل النضج بحران)

كفى من العيش ما قد سدّ من عوزٍ ..... ففيه للحرّ إن حققت غيانُ

(كفى من العيش ما قد سد من عوز) أي يكفي الإنسان فيما يتعلق بقوته ، (العيش) وهو ما يقتات به الإنسان، ويحتاجه لقوته ، فيكفي (من العيش ما قد سد من عوز) أي سد من حاجة ، يعني يكفيه الشيء الذي يكون به قوته وغذاؤه وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام (من أصبح آمناً في سربه عنده قوت يومه معافى في بدنه فكأنما أوتي الدنيا بحذافيرها) عنده قوت يومه، فإذاً يكفيه (ما سد من عوز) يعني ما يسد حاجته ، ما زاد عن ذلك فهو فضلة ، وزيادة، لكن الكفاية ما (سد من عوز) يقول عليه

الصلاة والسلام (عنده قوت يومه) أي طعام اليوم الذي هو فيه

قال (ففيه للحر إن حققت غنيان) الحر عرفنا المراد به ، وأنه المراد خيار الناس وأفاضلهم ، فالحر فيما سد من عوز (غنيان) أي يغنيه ويكفيه ، ويجد أنه مغنيا له وكافيا له ، (ففيه للحر إن حققت غنيان) أي إن حققت في الأمر وتبصرت فيه ، وجدت أن الحر من الناس أي أهل الفضل والخير يعتبرون وجود قوت الانسان غنية وكفاية لأن ما زاد على ذلك فضلة

وذو القناعة راضٍ من معيشتِهِ ..... وصاحبُ الحرصِ إن أثرى فغَضْبَانُ

(وذو القناعة راضٍ من معيشتِهِ) يعني حتى وإن قلت ذات يده فهو راضٍ عن معيشتِهِ، لأن الغنى غنى النفس، (وذو القناعة راضٍ من معيشتِهِ) يعني حتى لو كانت أموراً قليلة فهو راضٍ (وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان) الشخص الحريص على الدنيا والذي ليس له قناعة حتى ولو كان ثريا ثراء فاحشا غضبان، ولو كان عند ابن آدم واد من ذهب، لتمنى واديا آخر ، فذو الحرص (وإن أثرى غضبان)

حَسْبُ الْفَقْرِ عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ ..... إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ

(حسب الفقير) أي يكفيه عقله ، إذا كان صاحب عقل راشد وفهم ثاقب، حسبه (عقله خلا يعاشره \*\*\* إذا تحاماه إخوان وخُلَّان)

إذا ابتعد عنه وتجنبه الإخوان والخلان يكفيه العقل، إذا كان صاحب عقل حصيف ورأي سديد (حَسْبُ الْفَقْرِ عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ ..... إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ) وذلك لأن صاحب العقل الصحيح حسن التدبير للأمور، وحسن المعالجة لها، وإتيانها من أبوابها، والتعامل مع الأشياء، بخلاف من لا عقل عنده ، فهو يبنه بهذا البيت مكانة العقل السديد وأنه يكفي صاحبه بإذن الله سبحانه وتعالى

هُمَا رَضِيعَا لِبَانٍ حِكْمَةٌ وَتَقَى ..... وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ

(الحكمة والتقوى) متلازمان ، تلازما رضيعا لبان ، أي تلازم من رضع من ثدي واحدة ، تجمعهم الأخوة وتربطهم بالرابطة الوثيقة، وهذا يضرب به المثل في الأمرين المتلازمين، يقال عنهما ، رضيعا لبان كذلك

المال والطغيان هما أيضا رضيعا لبان أي متلازمان {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبِطْلَى (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (7)} [العلق-6-7] فالمال يجر للطغيان، إلا من سلمه الله، هذا الغالب في المال أنه يجر صاحبه للطغيان ، إلا من سلمه الله تبارك وتعالى ووقاه

(وساكنا وطن مال وطغيان) يعني الحكمة والتقى رضيعا لبان وساكنا وطن ، وأيضا المال والطغيان رضيعا لبان وساكنا وطن ، بمعنى أن كلا منهما ملازم للآخر ، لا ينفك عنه

إذا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ ..... وراءه في بسيط الأرض أوطانُ  
(إذا نبا) كان في موطن ما فقلاه أهله ، وعادوه وأبغضوه أو ربما أيضا طردوه ، أو غير ذلك  
إذا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ ..... وراءه في بسيط الأرض أوطانُ  
{أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً} [النساء-97]  
فله (في بسيط الارض أوطان)

يا ظالما فرحا بالعز ساعده ..... إن كنت في صلة فالظهر يقطانُ  
ما استمرأ الظلم لو أنصت آكله ..... وهل يلد مَذاق المرء خُطبانُ  
يا أيها العالمُ المرضي سِرُّه ..... أبشر فأنْتَ بغيرِ الماءِ رِيانُ  
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لُجج ..... فأنْتَ ما بينها لاشكَّ ظمآنُ  
لا تحسبنَّ سُروراً دائماً أبداً ..... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءتُهُ أزمانُ  
[إذا جفاك خليلٌ كنت تألفه ..... فاطلب سواه فكل الناس إخوانُ  
وإن نبتَ فيك أوطان نشأت بها ..... فارحل فكل بلاد الله أوطانُ]  
يا رافلاً في الشَّبابِ الرِّحْبَ مُنتشياً ..... مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوانُ  
لا تَعْتَرِزْ بِشَبَابِ رَائِقِ نَظَرٍ ..... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شَبَّانُ  
ويا أخا الشَّيْبِ لو ناصحتَ نَفْسَكَ لَمْ ..... يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَاتِ إِمعانُ  
هب الشَّيْبَةَ تُبْدي عُذْرَ صاحبها ..... ما عُذِرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطانُ  
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا ..... إِنْ شِيعَ الْمَرْءَ إِخْلَاصٌ وَإِيْمانُ  
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبِرُهُ ..... وَمَا لِكَسْرِ قَنَاقِ الدِّينِ جُبْرانُ

[خذها سوائر أمثال مهذبة ..... فيها لمن يتغى التبيان تبيان]  
[ما ضرَّ حسَّانها والطبع صائغها ..... إن لم يقلها قريع الشعر حسان]

يا ظالما فرحا بالعز ساعده ..... إن كنت في سنة فالظهر يقظان

هنا مقام تحذير من الظلم ، وبيان خطورته ، على صاحبه ، وأن العقوبة تحل به وإن تأخرت فإنها ستحل به ، ولا بد ، طال الزمان أو قصر ، فيقول (يا ظالما فرحا بالعز ساعده) العز السلطان والحاشية والأتباع والأعوان ، إذا ساعدته هذه الأشياء على الظلم ، واستمر الظلم ، وأخذ يظلم هذا وذلك لأنه يساعده على الظلم ، العز الذي معه والسلطان والسطوة والقدرة ، فيقول له تنبه (إن كنت في سنة) يعني في غفلة ، (فالدهر يقظان) ، يعني عندما ينظر الإنسان في تقلب الأيام وتاريخ الأمم يدرك ذلك ، كأن الناظم يقصد هذا المعنى بقوله (فالدهر يقظان) أي من يتأمل التاريخ يجد فيه العبر ، فالعبر في تاريخ من غير ، ينظر في التاريخ ويجد العبرة فيه

أما إذا كان المعنى (فالدهر يقظان) أي لك ولأمثالك ، وسيوقع بك الدهر نكالا أو كذا ، فإن كان هذا المعنى فهو معنى غير صحيح فاسد ، لكن المعنى كأنه ينبه إلى أخذ العبرة ، والعظة من التاريخ

ما استمرَّ الظلم لو أنصت آكله ..... وهل يلد مذاق المرَّ خطبان

يقول لا يستمرئ الظلم ، يعني لا يكون من يأكل الظلم ، والمظالم ويجدها مريئة هنيئة ، لو أنصف الإنسان في هذا المقام ، لوجد أنه فعلا الظالم لا يستمرئ الظلم والظلم لا يستمرأ وضرب على ذلكم مثلا في الخطبان ، الخطبان هو الحنظل عندما يجف ويصبح لونه إلى الاصفرار أقرب ، تشتد مرارته ، ويضرب به المثل في شدة المرارة ، فمن الذي يطيق الخطبان ويستطيب طعمه ، وهو أشد ما يكون في المرارة فإذا كان الخطبان الذي هو الحنظل لا يلد مذاقه أحد إطلاقا ، فالظلم كذلك ، لا يمكن أن يستمرئ الظلم آكله ، هذا إذا نظر الإنسان للأمر نظرة إنصاف ، أما إذا نظر بنظرة مكابرة ومغالطة ، فهذا أمر آخر

يا أيُّها العالمُ المرضيُّ سيرته ..... أبشِرْ فأنت بغيرِ الماءِ ريان

هذا ثناء من الناظم ، وبشارة للعالم مرضي السيرة ، ومرضي السيرة هو الذي أكرمه الله بالجمع بين العلم

والعمل، علم نافع وعمل صالح ، فعنده علم وعنده أيضا سيرة حسنة وطيبة، فيقول مهنا ومبشرا لمن كان بهذه الصفة، **(يا أيها العالم المرضي سيرته أبشر)** لك البشارة بكل خير في الدنيا والآخرة، مادمت تجمع بين العلم والسيرة الطيبة، **(فأنت بغير الماء ريان)**، ريان أي بما أذك الله من علم وحكم وأخلاق وآداب ، وفضائل ، أنت بهذه المعاني العالية الرفيعة ريان حتى لو لم يكن عندك الماء

سبحان الله قرأت كلاما عجيبا لأحد المعاصرين ، كان على غير الإسلام، ويتنقل من دين لآخر، كلما دخل في دين لا يجد فيه بغيته، ثم ينتقل لآخر ، دخل في أديان عديدة ، حتى من الله عليه وأكرمه بدخوله للإسلام، ثم قال كلاما عجيبا معناه قال: إن البشرية كلها عطشى ، في أشد ما تكون حاجة للماء، وأنا كنت واحدا من هؤلاء العطشى وبحث في الأديان ما يرويني ، فلم أجد ما يروي عطشي إلا في الإسلام، هذا معنى كلامه ، فالشاهد أن الذي يكرمه الله بالعلم والعمل ومعاني الدين العظيمة تقوم في نفسه أخلاقا وآدابا وغير ذلك ، هو كما قال الناظم **(ريان)** ولو لم يكن عنده ماء يقصد أنه ريان بالمعارف الإيمانية والحقائق الدينية والأخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة

بخلاف الجاهل ولهذا يقول الناظم

**ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج ..... فأنت ما بينها لاشك ظمان**

**(ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج)** أخا الجهل يعني صاحب الجهل ورفيق الجهل لو أصبحت في لجج أي لجج من الماء ، الماء من حولك من كل جهة **(لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لاشك ضمان)** والمراد بالظما هنا الظما الذي تحدثت عنه قبل قليل ، وتحدث عنه ذلك المهتدي للإسلام ولا يروي هذا الظما إلا العلم النافع والعمل الصالح

ثم قال

**لا تحسبن سرورا دائما أبدا ..... من سره زمن ساءتله أزمان**

السرور لا يدوم ، الدنيا دار امتحان وابتلاء وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما **(ما ملكت دار حيرة إلا ملكت عبرة)** لا بد ، الدنيا لا بد فيها مثل ما قال الله سبحانه وتعالى **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (156)}** [البقرة-155-156]، وفي الحديث يقول عليه الصلاة

والسلام (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) فهو ما بين سراء وضراء، وشدة ورخاء فإذا ينبغي التنبيه لذلك (لا تحسبن سُرورا دائما أبداً ..... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانٌ) لكن المؤمن أمره كما نبينا عليه الصلاة والسلام كله خير في سرائه وضرائه، في شدته ورخائه في صحته ومرضه في غناه وفقره في جميع أموره وهذا لا يكون إلا للمؤمن

إذا جفاك خليلٌ كنت تألفه ..... فاطلب سواه فكل الناس إخوان (إذا جفاك خليل كنت تألفه) إذا كان لك صاحب، وبينك وبينه صحبة قوية وجفاك، فاطلب سواه فكل الناس إخوان ، يعني اطلب رفيقا سواه، لكن مع مراعاة وملاحظة ما جاء في الحديث (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وعبارة (كل الناس إخوان) فيها توسع، والأخوة أخوة الدين كما قال الله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات-10] ، ويقولون الأخوة أخوتان ، أخوة دينية وأخوة طينية، الدينية التي يجمع ويربط فيها الدين الواحد دين الإسلام ، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات-10] والأخوة الطينية أخوة النسب

وإن نبتَ فيك أوطان نشأت بها ..... فارحل فكل بلاد الله أوطان هذا نظير قوله فيما سبق (إذا نَبَا بكريمٍ موطنٌ فلَهُ ..... وراءهُ في بَسيطِ الأرضِ أوطانٌ) يعني لا ينبغي أن تضيق على الانسان به الارض إذا ضاقت في مكان ينتقل إلى مكان لعله يجد فيه رفقة أختيارا وأعمالا صالحا ومجالات انفع

يا رافلاً في الشَّبابِ الرَّحْبِ مُنتَشِياً ..... مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوانٌ هذا تحذير للشباب المغتر بشبابه ولم يحسن الانتفاع بمرحلة الشباب ولهذا قال (منتشياً) أي معجبا مختالا لم يحسن الاستفادة من مرحلة الشباب، ومرحلة الشباب هي مرحلة تعد من أحسن المراحل من حيث القوة والنشاط والقدرة، ولهذا لما حث النبي صلى الله عليه وسلم على اغتنام العمر قال (حياتك قبل موتك) خص مرحلة الشباب بالذكر قال (وشبابك قبل هرمك) مع أنها داخلة في قوله (حياتك قبل موتك) لكن خص مرحلة الشباب بالذكر لأنها مرحلة عظيمة جدا، فهي مرحلة القوة والنشاط ، ومن



السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من استغل مرحلة الشباب استغلالاً صحيحاً في طاعة الله (شاب نشأ في طاعة الله)

(يارافلا) يعني مختالا (في الشباب الرحب منتشيا من كأسه) أي يجد نشوة وزهوا وإعجاباً بكأس الشباب ومغتترا بذلك (هل أصاب الرشد نشوان؟) النشوان السكران ، يعني هل النشوان الذي هو السكران أصاب رشداً؟ بتلك النشوة؟ الجواب لا ، إذن ما هذه النشوة التي تجدها غرورا وإعجاباً وزهوا وعدم الانتفاع بهذه المرحلة العظيمة من مراحل عمرك ثم أخذ ينبه رحمه الله إلى أن مرحلة الشباب لا تدوم

لا تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ نَظَرُ ..... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شَبَانٌ

يعني انظر إلى جميع كبار السن مروا بهذه المرحلة ، مرحلة الشباب ، وكانوا مثلك وربما أنشط منك ، ترى رجلاً مسناً لا يتحرك إلا بعصا وجهه جهيد ربما لما كان في عمرك كان أنشط منك ، وأقوى منك (فلا تغترر بشباب رائق نضر \*\*\*\* فكم تقدم قبل الشيب شبان)

يعني أن هذه المرحلة لها وقت وتنتهي ، الإمام أحمد رحمه الله له كلمة جميلة في هذا المقام يقول (ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط) يعني هي مرحلة سرعان ما تنتهي، ولو سألت كل رجل كبير سن عن مرحلة الشباب كيف مرت يقول مرت بأسرع ما يكون كالمح البصر سريعاً ، فهي فعلاً ستمر سريعاً وتنتهي هذه المرحلة ولا تعود حتى لو تميت مثل ما تمنى الشاعر

ألا ليت شباباً بوع فاشتريته

ما أحد يبيع الشباب ولا اشتراه إذا انتهى، انتهى ، لكن الغنيمة في استغلال مرحلة الشباب قبل أن تضيع تلك المرحلة

وكلام الناظم جميل عندما قال (فكم تقدم قبل الشيب شبان) يحدث أحد الأفاضل ، أن أهله كانوا في الولادة فكان قلقاً ، ورآه الطبيب قلقاً قال له [لماذا تقلق؟ شوف الناس هذي اللي تمشي كلها اتولدو] كلمة جميلة قال [الناس هذي اللي تمشي كلها اتولدو] يعني مروا بهذه المرحلة مرحلة الولادة كل الناس هؤلاء الذين تراهم ، فذكروني بكلامه قول الناظم هنا كل الشيب أيضاً كانوا شبان، كلهم مروا بهذه المرحلة

ويا أخا الشَّيْبِ لو ناصحتَ نفسك لم..... يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَاتِ إِمْعَانُ

ينصح هنا من كان في مرحلة الشيب وهو مغمى في اللذات، ليس مقبلا على الطاعات فينصح من كان في هذه العمر وهو بهذه الصفة مغمى في اللذات يقول له

(ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم\*\*\* يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَاتِ إِمْعَانُ)

لماذا؟

يقول

هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا ..... مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ

(هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا) يقال شاب ونشيط وقوي... الخ (هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا) أنه شاب وفي ثوران الشباب وفي قوة الشباب ونشاطه

(ما عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ) ولهذا جاء في الحديث (ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وذكر منهم (الأشيمط الزاني) يعني كبير السن الذي يقع في الزنا، وقوعه فيه ليس شهوة عارمة، دفعته ولم يسيطر على نفسه ولم يستطع أن يملكها، وإنما فساد فيه، وانحلال وانحراف

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا ..... إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ

وهذا بيت عظيم جدا في مكانة الإخلاص، والإيمان وأن من كان من أهل الإخلاص والإيمان، فهو

حري بأن تغفر ذنوبه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء-48]

(فكل الذنوب فإن الله يغفرها) كما قال تعالى {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء-48]

(إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ) شيعه أي صاحبه يوم يلقي الله سبحانه وتعالى لكن لو مات على غير

الإخلاص والإيمان لم يشيعه إخلاص وإيمان فإنه لا مطمع له أبدا في مغفرة الله، ولا سبيل له لنيلها

، ونيل رحمة الله، بل ليس أمامه إلا العذاب الأليم والخلود الدائم، في العذاب

ثم قال

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبُرُهُ ..... وَمَا لِكَسْرِ قَنَاقَةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

(وكل كسر فإن الدين يجبره) كل كسر يحصل للإنسان، الدين يجبره، (وما لكسر قنافة الدين جبران)

شرح نونية البستي (عنوان الحكم) للشيخ عبد الرزاق البدر

القناة الرمح، وقناة الدين أي الإصابة التي تكون للإنسان في دينه، هذه ليس لها جبران مثل ما قيل، إن في تقوى الله خلفا من كل شيء وليس من تقوى الله خلف، التقوى والدين وأمر الإسلام هذه ليس منها عوض، إذا ذهبت ليس هناك شيء يعوضها، لكن أمور الدنيا لها ما يعوضها، يعني مثلا إنسان فقد مالا، فقد جزء من صحته، يصبر ويحتسب ويرجو ثواب الله، ويرجو من الله العوض فتأتيه أمور عديدة جدا في الدنيا والآخرة تعوضه عن هذا الذي فقده، لكن إذا فقد الدين أي شيء يعوضه؟ في فقده لدينه

(وكل كسر فإن الدين يجبره) أي كسر يصاب به الإنسان في ماله في صحته، في أي مجال، الدين يجبره، يجبره بالأجر والثواب والمصائب كفارات في شريعة الإسلام  
(و ما لكسر قناة الدين جبران) أي إذا كان الكسر في الدين نفسه فليس هناك أي شيء يجبره

ثم ختم هذه الحكم وهذه الأبيات بقوله  
خذها سوائر أمثال مهذبّة ..... فيها لمن يتغى التبيان تبيان  
أي خذها أمثال عظيمة مجتمعة ملتزمة في مكان واحد صيغت بصياغة عذبة وكلمات حسنة جميلة، يجد فيها بغيته من أراد التبيان والمعرفة بالحكم العظيمة النافعة

ثم قال  
ما ضرَّ حسانها والطبع صائغها ..... إن لم يقلها قريع الشعر حسان  
(ما ضر حسانها) أي ناظمها (والطبع صائغها) يعني أنها جاءت هكذا مثل ما يقال الشاعر المطبوع، تأتي المعاني تناسب معنى تلو آخر  
(إن لم يصغها قريع الشعر حسان) أي إن لم يكن قد صاغها سيد الشعراء حسان ابن ثابت رضي الله عنه

وهذا مراده ليس الثناء على نفسه ولا مدح شعره، ولكن مراده أن ينتبه قارئ هذه الأبيات إلى المعاني الجميلة والحكم العظيمة التي تضمنتها هذه الأبيات

عرفنا أن ناظم هذه الأبيات توفي في القرن الرابع يعني وفاته كانت في عام 400 هـ وقيل 401 هـ

جاء بعده بقرنين شاعر توفي عام 600هـ وهو أبو البقاء الرندي، وعلى إثر الأحداث العظيمة والمصيبة الفادحة التي حلت بالأندلس، والمآسي المؤلمة فصاغ أبيات يصور ويحكي فيها تلك الأحداث الأليمة، والمآسي التي حدثت في الأندلس وكيف حصلت تلك التحولات والتغيرات والنكبات تلو النكبات التي حلت بالمسلمين في تلك البلاد أخذ يصورها في أبيات لكنه صاغها على غرار هذه المنظومة، وتداخلت بعض الأبيات من هذه الأبيات في منظومته، أدخل بعض الأبيات أو شطر بعض الأبيات في منظومته وبدأها بقوله

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ \*\*\* فَلَا يُغَرِّبُ طِيبَ الْعِيشِ إِنْسَانُ  
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلُ \*\*\* مَن سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَرْزَامُ

(من سره زمن ساءته أزمان) مرت معنا عند الناظم في البيت 53

لا تحسبن سرورا دائما أبدا \*\*\* من سره زمن ساءته أزمان

فعدد من أبياتها تداخلت مع هذه الأبيات وصاغها على وزنها وقافيتها، لكنه حكى حقيقة أمور مؤلمة جدا للغاية، حصلت في تلك الأيام للأندلس

قال في خاتمتها

وَطِفْلَةٌ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ بَرَزَتْ \*\*\* كَأَنَّمَا هِيَ يَأْقُوتٌ وَمُرْجَانُ  
يَقْوُدُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً \*\*\* وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ  
لِمِثْلِ هَذَا يَبْكِي الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ \*\*\* إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

فتحدث عن مآسي مؤلمة جدا وهذه المآسي التي يتحدث عنها وجدت وقريبا منها في سوريا الآن، في سوريا الآن حقيقة مآسي عظيمة جدا إلى أيامنا هذه الذين قتلوا بلغت أعدادهم عشرة آلاف، ومنهم أطفال رضع، بالمئات ولا تسأل عن انتهاكات الأعراض والتعديات، أمور مفعجة ومؤلمة جدا ومؤسفة

لله غاية، ومثل ما قال الناظم

لِمِثْلِ هَذَا يَبْكِي الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ

حقيقة أمور مؤلمة، وسبحان الله أنا لا أحسن الشعر، لكنني أمس واليوم كتبت قصيدة وربما هي المرة الأولى في حياتي، كتبت قصيدة على نفس الوزن وتحدثت فيها عن وضع سوريا والمآسي المؤلمة التي فيها إن رأيتهما صالحة فيما بعد نشرتها وإلا دفنتها

وبلغت إلى الآن قرابة خمسين بيتا ولكن ليس الذي يفيد الكلام، ونتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء، أن يلطف بهم وأن يجبر كسرهم، وأن يحفظهم بما يحفظ به عباده الصالحين، وأن يحفظهم من بين

أيديهم ، ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمالكهم ، نسأل الله عز وجل أن يرد كيد أعداء الدين، وأن يجعل كيدهم في نحورهم ، وأن يجعل تدبيرهم تدميرهم ، نسأله جل في علاه أن يحفظ إخواننا في سوريا في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، نسأل الله عز وجل أن يحقن دماءهم نسأله جل وعلا أن يلطف بهم إنه جل وعلا سميع الدعاء ، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونسأله جل في علاه أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يردنا وإياهم إليه ردا جميلا، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلا أنفسنا طرفة عين ،اللهم اغفر لنا ذنبا كله، دقة وجله أوله وآخره، سره وعلنه ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله إلا أنت اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك  
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين

[تم تفريغ الشرح بحمد الله تعالى]

أخوكم أبو مالك إبراهيم الفوكي

—كان الله له—